صندوق البريد

حول ثورة الجزئر ... الى الاستاذ رئيف خوري

عند ميلاد القرن التاسع عشر ، كانت على الارض ثورة لا يزيد امتدادها الزماني من حيث ساعة انطلاقها ، عن احد عشر عاما ، بينما كان امتدادها المكاني من حيث التحقق لا يتعدى ارض ميلادها .

هذه هي الثورة الفرنسية التي بدأت شعبية دموية ، وانتهت الى يد نابليون بعد أحد عشر عاما من ميلادها .

ابتدأت تنادي بحق الجميع في التحرر ، حق كل مواطن ، وكل امة ، وانتهت بالغزو والاعتداء على الجميع ، على من كانوا يرون فيها الخلاص من عبودية الاقطاع والاستعمار والاستثمار .

وبمقدار ما كانت دموية في محاربة الاقطاع والتحكم والسيطرة مدة السنين الخمس الاولى ، كانت دموية في توكيدها للاغتصاب فيما بعد .

وفي خلال الخمسة عشر عاما الاولى من القرن التاسع عشر كان يسيطر على أوربا جو من التوتر والفزع والاستعداد الدائم للقاء نابليون في ميادين القتال . وهذا ما كان يستلزم الاعداد القومي والتهيؤ .

وعندما هزم نابليون وعادت الملكية الى فرنسا .. أخذت الثورة تنمو وتتحقق في مجالات كثيرة ولا سيما بعد مؤتمر « فينا » الذي فرض على الشعوب وصايات وحدودا مناقضة للوعود التي اعطيت قبل الحرب ، ومعارضة لتفتح الوجود القومي .

« وهكذا .. أصبحت أوربا معبأة بالبخار الذي يعثر من حين الى آخر على منفذ له » ، كما قال نهرو .

وكان من نتيجة ذلك تحالف القوى الرجعية باسم « المحالفة المقدسة » التي يعتبر هدفها الاول المحافظة على الاوضاع القائمة بما يعنيه ذلك من بطش وتحكم وارهاب وقمع للحركات الثورية .

وطبيعي ان تستمر الثورات القومية على الاستعمار والتجزئة والاستثمار وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الفشل ..

وفي هذا الوقت كانت الثورة الصناعية تقفز بالمجتمع ووسائله بسرعة فائقة .

وما كان عام ١٨٤٨ حتى خرج البيان الشيوعي ... رد فعل شديدا لهذه « الانتكاسات القومية » قائما على اساس التصور الطبقي للمشكلة التصور الذي ينطلق من خلال هذه الانتكاسات نقمة وحقدا على الفكرة القومية كوجود وكتصور كلي للثورة والنضال .

وهكذا سار النضال القومي على غموض أسسه وتفاصيله في جهة ، والصراع الطبقي مسلحا بالنظرية الماركسية في جهة اخرى منافية مغايرة.

وعندما كانت المانيا تتشد وحدتها ، وايطاليا تحاول لم أشتاتها ، كان رواد الماركسية يعملون على جمع العمال لابراز خطوط هذا الصراع وتعميقه .

« والدولية الاولى » التي ولدت عام ١٨٦٤ هي نتيجة هذه المساعي في سبيل طبقة ، والقضاء على طبقة .

وما كانت سنة ١٨٧٠ حتى انتصرت اكثر الدعوات القومية وتحققت وحدة ايطاليا والمانيا ، ولكن على أشلاء فرنسا وفي قصر « فرساي » في باريس .

ومضت المعركة . مضت في الداخل والخارج .

ذلك لان الثورات القومية لم تحقق الا الاستقلال وبعض الاصلاحات . أي لم تكن ثورات اجتماعية جذرية تنظم فعالية القوى المنتجة في المجتمع وتوزعها توزيعا عادلا سليما ، بالقضاء على الاستغلال والاستثمار والاستعباد.

وبهذا أصبحت الثورات القومية جافة لا حياة فيها ، ولا سيما وانها وقفت كقوة شعبية ، بينما كانت قوة الآلة تنمو باستمرار .

وامد هذا الوضع يرافقه الازدياد المطرد في الانتاج ، والازدياد المطرد في الاستعباد و الاستثمار ، الى ان كانت الحرب العالمية الاولى فضحا لهذا النمو غير المتكافيء في القوى الاجتماعية القومة .

وانتصر الشيوعيون في روسيا .. خرجوا من خلال الهزيمة .

وانتصر الحلفاء .

واجتمعت « عصبة الامم » كما اجتمع « مؤتمر فيينا » قبل مائة عام وابتدأت عملية الاقتسام والاقتراع .

وابتدأت الثورة هذه المرة ، ولكن في الشرق الذي كان ينتظر التحرر فمبادىء الرئيس الاميركي ويلسون حتى هذا الوقت كانت على كل شفة ولسان .

ومضت الفكرة القومية العربية تجمع قوتها لتبدأ بعد الهزيمة وبعد اتفاقية « سايكس بيكو » ووعد « بلفور » .

ولما كانت كل ثورة عملية انسانية تتطور بتطور فعاليات المجتمع ، وتنمو بنمو الطاقات الخالقة فيه ، ولما كانت كعملية خلق ايجابية مرتبطة بظروف وشروط ومكان وزمان وحضارة ، فلقد كنا نحن العرب ومنذ اللحظة الاولى امام المثلث البغيض ، امام الاستعمار والتجزئة والاستثمار.

ومن هذه العناصر المتلاحمة الثلاثة استمدت ثورتنا وعيا انسانيا وقوميا ثوريا تقوم عليه أسس عملنا النضالي .

وهكذا كان النداء للوحدة والتحرر والاشتراكية كحقائق مترابطة متكاملة من حيث المبدأ ، ومن حيث التحقق ، تجسيما حيا لهذا الوعي الثوري .

اننا ثرنا على الاستعمار والتجزئة والاستثمار كعناصر متلاحمة لا لان القضية بالنسبة لنا قضية استعمار خارجي ، وما جاء بعد ذلك فهو تابع كما يقول الاستاذ رئيف خوري ، ولا لان القضية بالنسبة لنا هي قضية اية طبقة تحكم ، بل لان القضية بالنسبة لنا هي الثورة القومية بكل ما تعنيه من ايمان بشعبنا وبالانسانية ، وانقلاب على النظم الفاسدة والقيم الجامدة ، وعمل دائب من اجل اطلاق طاقاته وتفجير امكانياته ، بكل ما يستلزم ذلك من حرية وانسجام في الداخل ، وتعاون وتفاهم في الخارج .

ونحن هنا ننطلق من نقطة بدء تختلف عن نقطة الانطلاق عند الشيوعيين وعند غيرهم من « القوميين » الذين ينادون بالتحرر والوحدة بأي ثمن وبأي شكل .

واختلافنا مع الاولين ينبع من نظرتنا للانسان والحياة والتاريخ ولكل المفاهيم المتعلقة بعمليات التطور والثورة ، على الرغم من التطورات الاخيرة التي ظهرت بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي والتي فضحت الاخطاء والتناقض الذي قامت عليه النظرية الماركسية . انه تطور طيب ولكنه ما زال فجا . انه يحبو ويتعثر .

ونحن مثلا ما كنا لنعتقد ان الصراع الطبقي ـ بمعناه الماركسي ـ الا مضادا للنضال القومي . فهو ليس منافيا له وحسب بل وينطلق من اضعف نقطة فيه . من هزيمته .

ولكن هذا ليس معناه ان نؤيد الاستغلال والاستثمار وان نتجاهل التفاوت الطبقي والتمايز الاجتماعي والاستعلاء العنصري.

ان الثورة القومية ، ثورة الشعب في سبيل حريته وحياته ، تعني

التحرر ، والتحرر من كل انواع العبودية ، وتعني حق كل مواطن وكل امه بأكبر مقدار من الديمقراطية والحرية ، مع اكبر مقدار من الرخاء والرفاهية . فالثورة القومية بطبيعتها ضد الاستثمار والنهب الاجتماعي والاستعلاء العنصري والعدوان ، كل انواع العدوان اذن .

وعلى هذا نقول بان ثورة الجزائر قومية لانها تنتقد الاستقلال مرتبطا بالمعنى السلفي للقومية . بهذا المعنى البدائي والذي اخذ به اصحاب فكرة الوحدة والتحرر « بأي ثمن » وعلى أي شكل تأثرا بالثورات القومية الاوروبية في القرن التاسع عشر ، التي كان من نتيجة نموها الاستعباد والاستعمار .. كانت الحربان العالميتان ، ومأساة فلسطين ، وقصة الجزائر ، وكل قصص الشعوب المناضلة .

انه معنى شاو هزيل لا يتكافأ مع ما تزخر به قوميتنا من تطلع وانسانية وعمق وشمول .

وهو اليوم محاولات فاشلة لابراز وجه مشوه للفكرة القومية ولقضية التحرر .

انها فكرة المتخلفين عن القافلة .

الفكرة التي استغلها « الماركسيون » في محاربتهم للقومية والتي ابتدأت منذ صدور البيان الشيوعي سنة ١٨٤٨ واستمرت الى يومنا هذا.

فالذي أراه اذن هو أن الثورة القومية تعني الانقلاب الجذري على الواقع الفاسد والتنظيم الواعي السليم لكل القوى المنتجة والامكانيات فيه لتتحول الى تاريخ وفعاليات وحضارة .

ان هذا هو « التصور » الذي يرافق كل ثورة قومية ويكون أغنى ينابيعها .. واصفاها .

واذا كان شيء من ذلك لم يتحقق على الوجه السليم فمرد ذلك ليس الى عجز هذا التصور ، بل الى عجز الفلسفة والفكر عن متابعته واستجلاء خطوطه ، وايضاح معالمه ، ليستحيل الى قوى خلاقة مبدعة ، عن طريق النضال والثورة والانقلاب .

« والكومونه » هي المثل الحي لهذا التصور وهذا العجز الفلسفي الذي جعل « انجلز » يقول :

« هل سبق لهم ان رأوا الثورة ، هؤلاء السادة ؟ ان الثورة ، هي ، من دون ادنى ريب ، الشيء الاشد سلطانا بين الاشياء ، فهي عمل يفرض به جزء من السكان على جزء آخر ارادته بطلقات البنادق ، والحراب والمدافع ، وهي وسائل ذات سلطان ان كان ثمة سلطان . ولا بد للحزب الذي انتصر من الحفاظ على سيطرته بالرهبة التي توحيها اسلحته للرجعيين » (كتاب الدولة والثورة . لينين صفحة ٩٤) .

ان الثورة القومية هي التصور الكلي والثوري لقضية الشعب بينما لا يعني الصراع الطبقي ـ في الماركسية ـ الا محاولة للانطلاق من خلال العجز الناتج عن حاجة هذا التصور الى فلسفة .. الى نظرية .

هذه هي النقطة الهامة التي أحببت ان اوجزها للاستاذ رئيف الخوري اما بخصوص الشيوعيين في الروسيا والصين ويوغوسلافيا ، فاني لم افعل اكثر من ابراز « اختلاف حقيقتهم في نظر الواقع التاريخي » وهذا ما يقوله الاستاذ الخوري . فأين الخطأ ؟

وقبل النهاية احب ان أشير الى نقطتين :

١ ـ الصراع الطبقي والنظرية الماركسية التي تجعله شيئا واحدا فتضع له القوانين وتدرس التاريخ على أساسه وهذا ما يبدو جليا انني ارفضه فيمقالي وانني لا أخافه لانه محض شيوعي كمايقول الاستاذ ولا اتجاهله.

٢ ـ القومية الواحدة والدول المستقلة ، وهذا قد يكون ، وليس الوضع العربي الا مثلا لذلك .. ولكن هذا الوضع ليس طبيعيا الا بمقدار ما ينطور نحو الوحدة .

واستقلال الجزائر ليس الا دفعا لهذا التطور لان وجود حكومة ثورية في الجزائر يعني حرية المغرب العربي ووحدته . ونحن هنا متفقان .

اما بخصوص المواطنين غير العرب فلهم ما لنا وعليهم ما علينا .

« هذه قوميتنا محررة متحررة اشتراكية مؤمنة بشعبها موحدة له ، مؤمنة بشعوب العالم متعاونة معها ، مؤمنة بالسياسة الاستقلالية غير العدوانية ، كافرة بالاستعمار والعنصرية والاستغلال والتبعية » .

واننا لن نرضى عن ذلك بديلا ..

كويت **ناجي علوش**

*

حول قصة (قنديل)

من زحام المجتمع ومن قلب الشعب بالذات ينتشل (الكاتب) بطل قصته كانموذج للتجربة نرى من خلاله عالما عامرا بالتقلقل والاضطراب واليأس والامل والثورة المكبوتة على كل سيء في المجتمع .

ونلمح في قنديل هذا انسانا يمقت المتاجرة والتلاعب بحقيقة الانسان ويكره الوساطات وعدم تكافؤ الفرص امام الاشخاص . ونرى فيه رغم فقره وبؤسه انسانا ذا قلب طيب يعتمد على نفسه ويتوق لان يكون له بيت ينعم فيه بالاستقرار والهدوء ، ويحمل في أعماقه حبا كبيرا لفتاة فصلت بينه وبينها انظمة المجتمع الزائفة التي لا تدع مجالا في الحياة الا للدرهم ، ويكن في نفسه حقدا وكرها لهذا السلم الطبقي الذي اشادته انانية الانسان وتعجرفه .. (انه يحلم بارض مستوية ، ليس فيها من درج على الاطلاق) .

لقد اصاب الكاتب شيئا من التوفيق لانحسار ظله وعدم تدخله امام بطله (قنديل) الذي راح يتكلم عما يجيش بخاطره ، او بالاحرى عما يجول بخاطر السواد الاعظم من الشعب الفقير المسكين الذي لا يد له بكل ما يصيبه من تنكيل وانما الذنب كل الذنب على قلة جشعة تمتص دماءه .

وشيء آخر للمؤلف هو هذا الاسلوب الذي يتناسب مع انسان قلق قصير النفس انهكه السير في خضم الحياة . فنشعر أثناء قراءة القصة وكأننا نتلبس شخصية (قنديل) وهذا ما يجعله واقعيا حتى بكل لفظة وكل كلمة ، فما اشبه (قنديل) هذا بقنديل يعكس نوره على ظلمة المجتمع فيكشف لنا عما يعانيه الشعب من حرمان وخذلان .

دمشق **سليمان ملوك**